خطاب افتتاحي

ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بمناسبة الجلسة السنوية للجماعة في بريطانيا

بتاريخ ٢٠٢٦/٠٧/٢٤م

في حديقة المهدي بآلتون في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام مبينا أهداف الجلسة: "إننا نعقد هذه الجلسة لكي يتولّد فينا خوف الله تعالى، ولكي نصبح قدوةً لبعضنا البعض في الزهد والتقوى وخشية الله والورع ورقة القلب والمحبة والمؤاخاة المتبادلة". فلهذا الهدف تُعقد هذه الجلسات، ولهذا الهدف أنتم مجتمعون هنا اليوم. فينبغي أن نتذكر دائمًا أنه ما لم نبذل قصارى جهدنا لتحقيق هذا الهدف، فإن دخولنا في بيعة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يكون بلا معنى، وحضورنا في الجلسات يكون أيضًا بلا معنى.

فينبغي أن نتذكر دائمًا أن جذر تعليم الإسلام هو التقوى، وإذا وُجدت التقوى استطاع الإنسان أن يعمل بالتعليم الذي أرشدنا الله تعالى إليه، وإلا فسيبقى شعارنا بالعمل بالدين مجرد شعار لا أكثر. وقد بيّن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الهدف الأساسي في أحد أبياته الشعرية قائلًا:

أصل كل حسنة هو الاتقاء، فإن بقي هذا الأصل بقي كل شيء

والشطر الثاني كان من وحي الله تعالى إليه. فهو أصل التقوى الذي هو الشيء الأساسي، وما دام هذا الأصل باقيًا فينا، سنظل ناجحين في تحقيق هدفنا.

لقد بيّن الله تعالى في القرآن الكريم أيضًا موضوع التقوى مرارًا، بأساليب مختلفة ومن جوانب متعددة، وأرشدنا إليه. فالتقوى ضرورية للإيمان الكامل بالقرآن الكريم والشريعة. والتقوى ضرورية لأداء العبادات. ثم في الأمور المنزلية، التقوى ضرورية لحسن معاملة الزوجات. والتقوى ضرورية أيضًا للعلاقة بين الزوج والزوجة، فهذا هو الشرط الأساسي. ثم يقول الله تعالى إن أكرم الناس في الإسلام هو التقيّ. ويقول الله تعالى إنه وليّ المتقين ونصيرهم، وليس فقط وليّهم ونصيرهم، بل إنه يحب المتقين. وقال الله تعالى إن العاقبة الحسنى ستكون للمتقين. كذلك اعتُبرت التقوى ضرورية للطاعة الكاملة للنبي ﷺ، والتقوى هي التي تُكمل هذه الطاعة الكاملة. مهما عاهدنا وأطلقنا الشعارات بأننا منتمون إلى الجماعة، وأننا دخلنا في بيعة سيدنا

المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وأننا نؤمن إيمانًا كاملًا بسيدنا رسول الله ﷺ، ونؤمن ونوقن بالله تعالى إيمانًا كاملًا، فإن لم تكن فينا التقوى، تبقى هذه الشعارات مجرد شعارات لا أكثر. ثم اعتبر الله تعالى التقوى ضرورية للفلاح والنجاح. وهكذا أوضح الله تعالى أهمية التقوى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. وقد وعد الله تعالى المؤمنين والسالكين طريق التقوى بأنه يفتح لهم أبواب الترقي، وينجيهم من المصاعب، ويهيئ لهم أسباب الرزق، وييسّر أمور المتقي. ولهذا نصحنا الله تعالى في مواضع كثيرة بشأن التقوى قائلًا: إن كنتم قد آمنتم فكونوا كاملين في التقوى، وعندما تزدادون في التقوى ستترقّون في الإيمان كما تترقّون في نيل قرب الله تعالى.

فإن أردنا تحقيق النجاحات، وإصلاح أنفسنا، ونيل قرب الله تعالى، وإن أردنا أن نجعل أنفسنا أحمديين مسلمين بالمعنى الحقيقي، فمن الضروري لذلك أن نبذل قصارى جهدنا للسير في سبل التقوى، لأن دعوى الإيمان دون التقوى دعوى جوفاء لا مضمون لها. فقد قال الله تعالى في بداية القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ * هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾. فقد أوضح الله تعالى في هذه الآية أنكم لا تستطيعون الاستفادة من هذا الكتاب ومن شريعة الله تعالى، ولا يمكن لهذا القرآن الكريم أن يهديكم، إلا إذا كانت فيكم التقوى. فينبغي أن نضع هذا الأمر دائمًا نصب أعيننا، وهو أنه لا مكانة للإنسان في الإسلام من دون التقوى. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في موضع بشأن التقوى:

"لقد بيّن القرآن الكريم أن العلة الغائية لنزوله هي أن يُعلّم سبل التقوى، أي إنه بيّن أن هدفه الأساسي هو أن يُعلّم الله تعالى الناس سبل التقوى، كما يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ * هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي قد نزل هذا الكتاب لكي يُنبِّه الذين يتجنبون الذنوب حتى على أدق الذنوب، إلى اجتناب تلك الأعمال السيئة التي لا تراها كل عين، بل لا تُرى إلا بمجهر المعاشرة الدقيق، أما الأنظار الجامدة فلا تراها." فالأمر الحقيقي هو أنه إذا كانت فينا التقوى، فسنستطيع أن نتجنب حتى الذنوب الدقيقة، وسيتولّد في قلوبنا خوف الله تعالى، وسنكون في الحقيقة قد حققنا ذلك المقام والهدف الذي هو الهدف من السير في سبل الله تعالى، وسنتوجه إلى الامتناع عن الأمور التي نهى الله تعالى عنها، وسننتبه إلى العمل بما أمر الله بها.

فتذكروا هذا، أن الإنسان لا يستطيع العمل بالقرآن الكريم إلا إذا كانت فيه التقوى، ودون التقوى لا يمكن العمل به على الإطلاق. مهما ادعى الإنسان أنه مسلم أو مؤمن، فإن لم تكن فيه التقوى، فإن هذه الدعاوى بأنه مؤمن ومسلم تبقى مجرد دعاوى جوفاء. وقد قال الله تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، أي إن الله تعالى جعل في هذا القرآن الكريم شفاءً ورحمةً للمؤمنين، أما بالنسبة للظالمين فهو خسارة فقط، فهو لا يزيدهم إلا خسارًا.

ولن يستفيد الظالمون منه شيئًا. فالذين لا تُوجد فيهم التقوى، لن يستطيع القرآن الكريم أن يُريهم سواء السبيل.

فحيثما بيّن أن الله تعالى أنزل هذا الهدى، أعلن في الوقت نفسه أن الهدى لا يُنال إلا إذا أوجدتم التقوى في أنفسكم. فإذا أوجدتم التقوى استطعتم أن تسيروا على الصراط المستقيم، وإلا فلا. وقد أرشدنا سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام إلى السير على الدروب الدقيقة للتقوى، فقال في موضع:

"إن حكم شريعتنا والقرآن الكريم هو أن نغض البصر. فبالنسبة للعلاقات الاجتماعية العامة، من لقاء ومخالطة بين الرجال والنساء، ينصحنا في هذا الشأن قائلاً: إن حكم شريعتنا والقرآن الكريم هو أن نغض البصر، وأن نُبقي الأنظار فاترة، لأن هذا أيضاً وسيلة من وسائل إيجاد الشرور. فإذا بدأ الناس بالعمل بهذا، وتولّدت فيهم هذه الحالة من التقوى، استطاع الإنسان أن يتجنب كثيراً من الذنوب". وفي مجتمع اليوم، هذه هي الذنوب التي تقود الناس إلى الدمار، وحتى بعض من يدّعون الإيمان يقعون في شراك هذه الأمور. ووسائل الإعلام اليوم أيضاً تُقدّم توجيهاً خاطئاً، فتُعرض أفلام وبرامج من هذا القبيل تُثير مشاعر الإنسان وتُولّد أفكاراً خاطئة.

"إن حكم شريعتنا والقرآن الكريم هو أن نغض البصر." يقول حضرته هذا الكلام فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية العامة، من تعامل بين الرجال والنساء: إن حكم شريعتنا والقرآن الكريم هو أن نغض البصر، وأن نُبقي الأنظار منخفضة، لأن البصر أيضًا وسيلة من وسائل إيجاد الشرور. فإذا بدأ الناس بالعمل بهذا، ونشأت فيهم هذه الحالة من التقوى، استطاع الإنسان أن يتجنب كثيرًا من الذنوب. وفي مجتمع اليوم، هذه هي الذنوب التي تقود الناس إلى الدمار، وحتى بعض من يدّعون الإيمان يقعون في شراك هذه الأمور. ووسائل الإعلام اليوم أيضًا تُقدّم توجيهًا خاطئًا، فتُعرض أفلام وبرامج من هذا القبيل تُثير مشاعر الإنسان وتُولّد أفكارًا سيئة.

ولذلك قال عليه السلام بشأن غضّ البصر: "لا تسمعوا لقصص حسن النساء، واجتنِبوا كل ما قد يسبب لكم العثار، لأنكم إذا اجتنبتموها سلكتم سبل التقوى ونجوتم من العثار".

وقال عليه السلام في مكان آخر: "إن المعرفة الكامنة في هذه الآيات هي أن الله تعالى يقول: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي أن هذا الكتاب منبعُه علمُ الله تعالى، ولما كان علم الله منزَّها عن الجهل والنسيان (أي أن علم الله تعالى مبرأ من كل نوع من النقصان أو النسيان) فإن هذا الكتاب أيضا منزّه عن كل أنواع الشك والريبة. ولمّا كان علم الله تعالى يتّسم بقدرة كاملة على إكمال الناس (أي أن الله تعالى خالق الإنسان ويعلم جيدا كفاءاته وقدراته، فيوجد في هذا الكتاب كل ما هو ضروري لهداية الإنسان ولخيره ولإرشاده إلى سبل الخير ولرقيه في التقوى) لذا فإن هذا الكتاب الذي أنزلته أنا هو هداية كاملة للمتقين، ويوصلهم إلى الذروة من ترقيات الفطرية الإنسانية".

فالله تعالى قد أنزل هذا الكتاب الذي إذا عمل به الناس، كل بحسب كفاءاته وقدراته، مضى قدمًا في سبل التقوى.

ثم قال عليه السلام: "لقد قال الله تعالى في موضع آخر: الذين يؤمنون بالله ويقيمون الصلاة، وينفقون في سبيل الله مما آتاهم من مال، ويؤمنون بالكتب التي نزلت قبل القرآن الكريم، عندما يكتمل إيمانهم هذا ينالون النجاة".

وقال عليه السلام: "لقد تبين من هنا أن نيل النجاة محال من دون الإيمان بالنبي ﷺ ومن دون العمل بتعاليمه من صلاة وغيرها.

يسأل البعض أن أهل الأديان الأخرى أيضا يدّعون أنهم أهل الحق. والواقع أنه لم يدّع أي دين أنه قد جاء للعالم أجمع سوى الإسلام والنبي ﷺ. فهذه هي دعوى القرآن الكريم والإسلام. لقد أعلن الإسلامُ سلفًا أنه لا بد من الإيمان الكتب السابقة والأنبياء السابقين، إلا أن المراد من هذا الإيمان هو التصديق بأن هؤلاء الأنبياء قد بُعثوا إلى أقوامهم، أما الآن فإن النبي ﷺ هو النبي التشريعي الأخير المبعوث إلى العالم كله، وأن شريعته كاملة مكتملة حافلة بالهدى، والذين يتقون ستهديهم هذه الشريعة إلى سبل فيها صلاح دنياهم وآخرتهم. وهذه الدعوى لم يعلنها أي دين آخر ولم يقل أي منها بأن على الناس جميعا أن يؤمنوا به وأنه سيهديهم إلى الصراط المستقيم".

وقوله عليه السلام إنكم إذا عملتم بهذا الكتاب فسوف تحققون الرقي وتنالون الهدى، يعني أنكم إذا بذلتم في عباداتكم وإيمانكم أقصى ما يمكن من الجهود الإنسانية فإن الله سيتيح لكم بفضله أوضاعا وأسبابا لا تتيسر إلا بفضله تعالى.

لقد قال عليه السلام: "إن سعي الإنسان وعقله لا يرشدانه إلا أن يؤمن بالله الخفي الذي لم يرَ وجهه، ومن أجل ذلك فإن الشرع لا يريد تكليفَ الإنسان أكثر من وُسعه ولا يُكرهه على أن يبلغ بقوته درجةً من الإيمان هي أكثرُ من الإيمان بالغيب، وهذا ما أكده الله في القرآن الكريم. غير أن الصادقين قد وُعدوا في هذه الآية نفسها: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي أنهم عندما يَظلّون ثابتين على الإيمان بالغيب باذلين لذلك كل ما في وسعهم فإن الله سوف يوصلهم من حالة الإيمان إلى حالة العرفان. وإن هذه نقطة معرفة عظيمة، أي آمِنوا بالغيب، واعملوا بتعاليم الله تعالى، وتحلَّوا بالتقوى متحرين أدق سبلها، فسوف يهديكم الله وييسّر لكم العرفان، ويوصلكم من حالة الإيمان إلى حالة العرفان، ويُكسب إيمانَكم صبغة جديدة. ومن علامات صدق القرآن الكريم أن الذين يأتون إليه فإنه لا يريد أن يتركهم على درجة الإيمان والعمل التي يبلغونها بسعيهم، إذ لو اقتصر الأمر على ذلك فكيف يعرفون أن الله موجود فعلا. كلا، بل إنه تعالى يُرتِّب من عنده على جهود الإنسان نتيجة يُلاحظ فيها بريقُ التدخُّل الإلهي وتصرفِه، أي أن الله تعالى يعطيه على

جهوده ثمرة يُرَى فيها اللمعان الإلهي والتصرف الرباني، وينعم الله عليه بحيث يُرى للعيان بأن الله تعالى قد بوأه مرتبة أخرى كثمرة على عمله بأحكام الله واتّباعه لتعاليمه تعالى".

هذه هي دعوى الإسلام دون سائر الأديان. فأين توجد الروحانية في الديانات الأخرى الآن. لقد صارت الروحانية بكل أشكالها مفقودة فيها. فإذا آمن الإنسان بالغيب، وسعى للعمل بكل ما في وسعه مؤمنا بالغيب، واتقى، وأناب إلى الله ودعاه، وجاهد للتقرب إليه حقًّا، وبذل كفاءاته بأقصى ما في وسعه، فإن الله يرشده إلى التقدم أكثر، ويهيئ له من الفرص ويكشف له من نفسه ما يجعل إيمانه يكتمل باستمرار، فلا يبرح يمضي قُدمًا في سبيل التقوى.

ويقول عليه السلام: "وكذلك ماذا عسى أن ينجزه الإنسان بسعيه وجهده – فيما يتعلق بالصلاة– أكثرَ من أن يصلي متطهرًا ومعرِضًا عن الأفكار والهواجس، ومحاولاً ألا تبقى صلاته خاويةً منهارةً، وساعيًا لأن يقوم بجميع أركانها كحمد الله والثناء عليه والتوبة والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي بحماس القلب. (أي أن غاية ما يمكن أن يفعله الإنسان هو أن يؤدي الصلاة مع جميع لوازمها بحماس كامل) ولكن ليس بوسعه أن يتيسر له في الصلاة بالفعل محبةٌ ذاتية لله خارقة، وخشوعٌ غيرُ عادي، وشوقٌ وذوق ملؤه استغراقٌ وفناءٌ وحضور منزّه عن كدورة وشائبة". (أي أن المصلي مهما سعى جاهدا فليس بوسعه إلا أن يتولد فيه شوق وتوق إلى حد ما في الصلاة، ولكن ليس بوسعه أن يخلق بنفسه محبة ذاتية لله تعالى. بوسعه أن يؤدي الصلاة بظاهر أركانها، ولكن ليس بوسعه أن يخلق بنفسه محبة ذاتية لله خارقة، وخشوعا وخضوعا غير عاديين، ولا أن يرى اللهَ بنفسه، بل لا بد لهذه الأمور من أن يسأل الله فضله. هذا هو الأمر الأساس في الصلاة والذي يجب أن يدركه الناس. إذا تحرّينا هذه الأمور بهذا العمق والجهد فعندها يشملنا فضل الله تعالى. فلا بد من الاستعانة بالله تعالى لكي تتيسر لنا في الصلاة هذه الكيفية، إذ من دون الاستعانة بالله لا تتسنى للإنسان تلك الكيفية التي هي منتهى المؤمن في الصلاة. فعلى المؤمن ألا يتوقف عن السؤال، بل لا يبرح يسأل اللهَ حبَّه تعالى).

يقول عليه السلام: "ومن أجل ذلك قال تعالى إن المتقين هم الذين يقيمون الصلاة. ومعلوم أنه لا يقام إلا ما هو عُرضة للانهيار.

فمعنى ﴿ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ هو أنهم يسعون قدر استطاعتهم لإقامة الصلاة المذكورة، ويبذلون في ذلك الجهد والمجاهدة، لكنّ مساعي الإنسان بغير فضل الله تعالى لا تُجدي شيئًا. لذلك قال الله الكريم الرحيم: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي أنهم يسعون لإقامة الصلاة بقدر استطاعتهم من خلال التقوى. فإذا كانوا يؤمنون بكلامي، فلن أتركهم رهينة سعيهم ومجهودهم فقط. فها هو الله تعالى يقول أيضًا: أنتم تسعون، ولكن لن أتركم رهن سعيكم فقط، بل سأتولى بنفسي دعمكم، ثم سأمدّكم بالعون أيضًا. عندئذٍ تتخذ صلاتهم صبغة

أخرى، وتنشأ فيها حالة أخرى لم تكن تخطر لهم على بال. وهذا الفضل إنما يكون لأنهم آمنوا بكلام الله تعالى، القرآن الكريم، وانشغلوا بالعمل بأحكامه قدر استطاعتهم.

وخلاصة القول: إن الهداية الإضافية الموعودة فيما يتعلق بالصلاة هي أن يتوفر للإنسان من الحماس الفطري والمحبة الذاتية والخشوع والحضور الكامل ما يجعل عينه تنفتح لرؤية محبوبه الحقيقي، وتتحقق له حالة خارقة للعادة من مشاهدة جمال الباري ﷻ. فالحالة التي ينبغي أن تكون عليها رؤية الله تعالى في العبادات هي أن تكون مفعمة بلذّات الروحانية، بحيث تُنَفر القلبَ من الرذائل الدنيوية ومن شتى أنواع المعاصي، القولية والفعلية والبصرية والسمعية. كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

فحين يسعى الإنسان ويدعو الله تعالى، يُهيّئ الله تعالى له ظروفا ينشأ فيها لديه انتباه أكبر نحو الدعاء، فيحصل له اللذات الروحانية، ويسلم من المفاسد الدنيوية. ثم يقول الله تعالى: اسعوا أيضًا للعمل بأحكام القرآن الكريم. فلا يكفي دعاء مؤقت مرة واحدة، أو بكاء مرة واحدة، أو سجدتان بخشوع وخضوع، بل لا بدّ – لنيل هداية القرآن الكريم – من قراءته وفهمه والتدبر فيه أيضًا. عندئذٍ فقط تنشأ فيكم التقوى، وحين تنشأ التقوى يتحقق قرب الله تعالى، وحين يتحقق قرب الله تعالى فإن حسناتكم هذه ستُذهب سيئاتكم، وتتخذون صبغة جديدة، وتصبحون من الفائزين بقرب الله تعالى".

ثم قال: "كذلك هناك عبادة مالية. فقد ذكر الله تعالى في هذه الآيات عبادات كثيرة، منها العبادة المالية. كل ما يستطيع الإنسان بسعيه، هو أن يُنفق شيئًا من أمواله المحبَّبة إليه في سبيل الله. هذا فقط ما يستطيع الإنسان فعله أي ينفق في سبيل الله من المال الذي يحبه، ليحظى بقرب الله تعالى ويسعى لنيل فضله. ولهذا يقول الله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، أي هؤلاء هم الذين ينفقون مما رزقناهم. ويقول ﷻ في آية أخرى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

لكن من الواضح أنه إذا اكتفى الإنسان في العبادة المالية بإنفاق شيء فقط من أمواله المحبوبة في سبيل الله تعالى، فهذا ليس منتهى الكمال، أي أن يُعطي شيئًا من ماله بدافع المحبة، ليس هذا هو الكمال. إنما الكمال أن يتخلى كليا عمّا سوى الله، أي أن يتنازل تمامًا عن كل شيء سوى الله تعالى، ويترك كل شيء". أي ألا يكون في ذهنه الله تعالى وحده دون غيره، فيقول: هذا المال أعطانيه الله تعالى، وقد أنفقته في سبيله تعالى، ولم أُنفقه سعيًا وراء الشهوات الدنيوية، بل لنيل فضل الله تعالى وحبه.

فيقول عليه السلام: "عندما تتحقق هذه الحالة لن يبقى له ما كان له من قبل، بل يصبح كله لله، حتى يصبح مستعدا لفداء نفسه في سبيل الله تعالى، لأنها أيضًا تدخل في ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾. فلا يقصد الله تعالى من قوله ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ الدراهم والدنانير فحسب، وليس المال والثروة فقط، بل هي كلمة واسعة جدًا تدخل فيها كل نعمة أُعطيها الإنسان".

فقوله ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ لا تعني إنفاق المال فقط، بل يشمل جميع القدرات والاستعدادات وكل ما هو في حوزة الإنسان أو من مواهبه. فحين يكون مستعدًا لإنفاق كل ذلك في سبيل الله تعالى، عندئذٍ يُنعم الله تعالى عليه بحيث يصبح من الفائزين بقربه. وفي هذا المقام يمكن أن يُدعى الإنسان سالكًا على طريق التقوى الحقيقي.

لقد بيّن المسيح الموعود عليه السلام هذا الأمر في أماكن مختلفة، فيقول في موضع: "إن قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن الإنسان – بشأن بكل نوع من النعم التي أُعطيها، بما فيها حياته وصحته وعلمه وقوته وماله وغير ذلك– لا يستطيع بسعيه أن يُظهر إخلاصه إلا إلى حدّ ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، ولا تملك القوى البشرية أكثر من ذلك. لكن الله تعالى وعد المؤمنين في القرآن الكريم أنه إن أظهر أحدهم صدقه إلى حد ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾– بأن ينفق المال بصدق في سبيل الله تعالى، ويُظهر الصدق لا الرياء– فبموجب آية ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ هناك وعدٌ بأن الله تعالى سيوصله إلى الكمال في هذا النوع من العبادة أيضًا".

أي سيظهر عندئذ فعل الله تعالى أنه سيُوصله إلى الكمال. فتحصل له متعة خاصة في تقديم التضحيات. إذن، إن إنفاق المال وتقديم التضحيات أيضًا عبادة. ليست الصلاة وحدها هي العبادة، بل قال الله تعالى إنه من العبادة أيضًا أن يُنفق الإنسان قدراته وأمواله. وهناك وعد من الله تعالى في ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾. لذلك فإن من يقدّم هذه التضحية ابتغاء وجه الله تعالى، فإن الله تعالى سيوصله إلى الكمال. والكمال هو أن تُمنح له قوة الإيثار بحيث يفهم بانشراح صدر أن كل ما هو له إنما هو لله، ولن يُشعر أحدًا أبدًا بأن هذه الأشياء كانت له، تلك الأشياء التي خدم بها بني البشر.

فمثلًا، عن طريق المنّة قد يُشعر الإنسان أحيانًا شخصًا آخر بأنه أعطاه من ماله، لكن هذه حالة ناقصة، لأنه لن يشعر بذلك إلا إذا عدَّ ذلك الشيء ملكًا له. فحين يُرقّي الله تعالى، بحسب آية ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، المؤمنين بالقرآن الكريم من هذا المقام، يصل المؤمن إلى حدِّ اعتبار كل أملاكه ملكًا لله، بحيث يزول من قلبه أيضًا مرض إشعار الآخرين بالمنّة. فلن يُشعر أحدًا بأي نوع من الشعور بالمنّة أبدًا.

فالناس يقدّمون مساعدة يسيرة ثم يمنّون بها بعد ذلك. والشعور بأن "هذا الشيء ملكي" أيضًا مرض، ففي الحالة المذكورة آنفا يزول هذا الشعور أيضًا. وقد قال عليه السلام إن هذه الفكرة مرض في حدّ ذاتها. فإن كنتم تعُدّون كل شيء ملكًا لله بدلًا من عدِّه ملكًا لكم، فذلك في الحقيقة هو التقوى، وتلك هي علامة المؤمن الحقيقي. فتزول هذه الأمور من قلبه، وتنشأ في قلبه رأفة كرأفة الأُمّ تجاه بني البشر. فكل ما ينفقه سيكون من أجل خير بني البشر ورفاهية الآخرين، وأداء حقوق العباد، ورعاية الفقراء. وستفوق هذه المحبة والرأفة حتى محبة الأُمِّ لأنه يعلم أنه لم يعد يملك شيئًا لنفسه، بل كل شيء أصبح لله، وعندما يدرك أنه ما

دام كل شيء لله فعليه أن ينفقه لخير خلق الله وابتغاء وجه الله. سينشأ فيه الشعور أن كل شيء لله، وإنما يمكن ذلك بالإيمان بصدق القلب بالقرآن الشريف والنبي الكريم ﷺ، ومن دون ذلك يستحيل.

كذلك قد قال عليه السلام في تفسير هذه الآيات:

"اعلموا أن الصفة الأولى من صفات المتقي المذكورة هي "يؤمنون بالغيب"، وهذا بيان حالة المؤمن الابتدائية أنه قد آمن بأشياء لم يرها. الغيب اسم الله، وهذا الغيب يشمل الجنة والنار وحشر الأجساد (أي يوم القيامة) وغيرها من الأمور التي لا تزال في حجب الغيب. فالمؤمن يؤمن بها بداية (كما ذُكر سابقا) ولكن الهدى هو أنه يحظى في تلك الحالة بإنعام، وهو أن علمه ينتقل من الغيب إلى الشهود، (أي يظهر عليه هذه الأمورُ ويشاهدها)، ثم يأتي عليه زمان حين يصبح عارفا بالأمور التي كان يؤمن بها من قبل كغيب، وتمثل أمامه الأمور التي كانت خافية عليه حتى الآن ويتجلى الله عليه. ويحصل له اليقين بالآخرة، ولا يبقيه الله في الغيب. فليس ثمة شرط واحد. يقول الناس لماذا نؤمن بالغيب إذ لا نعرف شيئا. يقول الله ﷻ عندما ستؤمنون بي مرة ثم تزدادون إيمانا، فسوف أفتح عليكم مزيدا من السبل له، فتحرزون عرفانا أيضا".

ثم قال حضرته عليه السلام: "الصفة الثانية هي "يقيمون الصلاة" أي يقيم المتقون الصلاة، وأن المتقي يقيم الصلاة بكل ما في وسعه، أي أحيانا تسقط صلاته فيقيمها أي إن المتقي يخاف الله ويقيم الصلاة، في هذه الحالة تنشأ شتى الوساوس والخواطر فتفسد عليه الصلاة، فتُسقطها لكنه في هذا الاشتباك أيضا يقيم الصلاة. (أي تنشأ الوساوس في قلب الإنسان باستمرار فيترك الصلاة أيضا، لكنه إذا صبر على ذلك وظل يقيم الصلاة فإن الله يساعده، ففي الصلاة تنشأ الأفكار ويهاجم الشيطان أيضا دوما، فيفقد الإنسان التركيز، لكنه مع ذلك يسعى ليقيم الصلاة، ثم تسقط فيقيمها من جديد، وتستمر هذه الحالة فيسعى لإقامة الصلاة بتكلف واهتمام مرة بعد أخرى). أحيانا لا يجد الإنسان بدًّا من التكلف أيضا، أي لا يفوز بالحالة القلبية، لكن الإنسان يسعى ليفوز بقرب الله فيتكلف من أجل ذلك، فلا بد من ذلك. يقول البعض إن ذلك نفاق لكنه ليس نفاقا، بل مجاهدة. فحين يسعى الإنسان جيدا على هذا المنوال بتكلف فإن الله يهديه بكلامه. فما هي هدايته؟ فهي كما قال "هدى للمتقين".

عندها تكون حالتهم- بدلا من "يقيمون الصلاة"- أنهم يخرجون من حياة الصراع والوساوس ويهبهم الله تعالى بواسطة هذا الكتاب مقاما قال ﷻ عنه بأن بعض الناس يصبحون كاملين؛ فتصبح لهم الصلاة بمنزلة الغذاء ويُعطَون فيها لذة وذوقا يفوق جميع اللذات المادية الدنيوية.

إذن هكذا تكون حالة المؤمن في الصلاة حين يسعى لأدائها بأسلوب صحيح، ثم يرفعه "هدى للمتقين" إلى ذلك المعيار للتقوى الذي يجد فيه اللذة والسرور كما يجدها في الأشياء المادية، كالماء والطعام".

يقول حضرته إن هذه الصلاة تصبح له نوعًا من النشوة وبدونها يصاب بالكرب والاضطراب الشديد، وبأداء الصلاة يشعر في قلبه بنوع خاص من السعادة والطمأنينة التي لا يحظى بها كل واحد، ولا يمكن بيانها بالكلمات. فالفوز بها يقتضي سعيا حثيثا.

فإذا كنا نريد الارتقاء إلى أرفع معايير التقوى والفوز بقرب الله ﷻ وكنا نريد رؤية مشاهد إجابة الدعوات، فعلينا أن نولد فينا هذه الحالة للصلاة. كثيرون يسألون لماذا لا تُتقبل دعواتنا، فأقول لهم إذا كنا نريد بعد عدد من السجدات من أجل الهدف المادي مؤقتا فقط أن نفوز بمقام يقرّبنا إلى الله، فهذا لن يحدث، وهو مستحيل. علينا أن نولد في نفوسنا حرقة للعبادة، كما يحترق المتقي الحقيقي، وعندما تنشأ فينا هذه الحرقة، تتسبب في هدايتنا وتقرُّبنا إلى الله، وسوف نرى مشاهد إجابة الدعوات أيضا.

فهذه الحالة يجب أن تتولد فينا، وعندما تتولد حينها يمكن أن نقول إننا من المؤمنين الصادقين.

يقول حضرته عليه السلام: "حين تتحقق هذه الحالة، فلا يبقى الإنسان بحاجة إلى إقامة الصلاة لأن صلاته في هذه الحالة تكون قائمة دائما. (إذ لا ينتقل اهتمامه إلى جانب آخر، وهو ينجز كل عمل ابتغاء مرضاة الله، ولا يكون فيه أي تكلف أو تصنع، كان يوظفه سابقا)، لذا يجب أداء الصلاة بكل حسن وبجميع شروطها. إن الصلاة أصل جميع أنواع التقدم ومعراجها. ولذلك قيل: الصلاة معراج المؤمن. لقد مضى في هذا الدين آلاف بل مئات الآلاف من أولياء الله والصادقين والأبدال والأقطاب، ولكن هل تعلمون كيف نالوا تلك المدارج والمراتب؟ ألا إنما نالوها بواسطة الصلاة نفسها. (إذ لم تكن فيهم ميزة نادرة وإنما كانوا يعبدون الله ويحسِّنون الصلاة، كيف أصبح أحدهم من الأولياء والأقطاب والأبدال؟ إنما بالصلاة والعبادة فحسب، ولم تكن فيهم ميزة نادرة) وقد قال النبي ﷺ نفسه: "قُرة عيني في الصلاة". الحق أن الإنسان حين يرتقي إلى هذا المقام وهذه الدرجة، تكون الصلاة أكمل وأتم متعة له. وهذا هو معنى قول النبي ﷺ المذكور.

ولا يغيبن عن البال أن ما ورد في مستهل القرآن الكريم بأنه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، فالتقوى شرط ضروري لفهم القرآن الكريم والاهتداء بحسبه. (وهذا هو الأصل المهم الضروري والأساس) إذ قد قال الله ﷻ في موضع آخر: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠)، أما الحصول على علوم أخرى (أي علوم مادية) فليس مشروطا بالتطهُّر. فلا يُشترط لتعلم الرياضيات والهندسة وغيرها من المقرر أو الكتب المادية الأخرى، أن يكون متعلِّمُها متقيا وورعا حتما بل يمكن أن يتعلم هذه العلوم كلَّها فاسقٌ وفاجر أيضا. (ونحن نلاحظ أن الفساق والفجار هم متقدمون في هذه العلوم المادية في العصر الراهن) ولكن لا يمكن أن يتقدم في علوم الدين فيلسوف أو عالم المنطق الجاف. ولا تنكشف عليه الحقائق والمعارف. لذا لا بد من التحلي بالتقوى، فكونوا متقين. إذا أردتم كسب الدنيا فهذا أمر آخر، أما إذا أردتم الفوز بقرب الله ﷻ فلا بد من الاتقاء".

ثم قال حضرته ناصحًا إيانا:

"من البديهي تماما أنه ما لم يترك الإنسان أخلاقه الرذيلة لا يستطيع أن يقبل مقابلها الأخلاق الفاضلة التي هي الوسيلة للوصول إلى الله تعالى، لأن اجتماع الضدين في قلب واحد محال. هذا ما أشار الله تعالى إليه في بداية سورة البقرة فقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ﴾ أي أن القرآن الكريم هداية للمتقين، وهذا يعني أن الذين لا يستكبرون، بل يتدبرون كلام الله تعالى بالخشوع والتواضع هم الذين يهتدون في النهاية".

فتُعطى الهداية عندما يتلاشى الكبر ويحل الخشوع والتواضع. فالأصل في هذا الموضوع أن يسعى الإنسان للحصول على التقوى.

ثم قال حضرته ناصحًا جماعته:

"إنّ الله تعالى يحبّ المتّقي، فينبغي أن تخشوا الله جميعا بتذكُّر عظمته. اعلموا أنّ الجميع خلْقُ الله عزّ وجلّ، فلا تَظلموا أحدا، ولا تغضبوا، ولا تزدروا أحدا. إذا كان في الجماعة شخص سيء واحد فإنه يسيء إلى الجماعة كلها. فإذا كانت طبائعكم مائلة إلى الحدة والغضب، فتفحّصوا قلوبكم لمعرفة مصدر هذه الحدة، (أي ابحثوا عن مصدر هذه الثورة والتباغض والاعوجاج) لأنّ هذا المقام جدُّ خطير. وينبغي بذل السعي لتجنبه".

لقد نبه حضرته قائلا:

"إن خشية الله تعالى في أن ينظر المرء إلى مدى توافق فعله مع قوله، فلو وجد فعلَه غير متفق مع قوله فليعلم أنه سيتعرض لغضب الله، إذ لا قيمة لصاحب القلب النجس في نظر الله تعالى مهما كان قولُه طيبا، (إن لم يتحلّ أحد بطهارة القلب فليس له أي قيمة عند الله تعالى مهما تكلم بكلام طيب وحسن. فالأصل هو القلب، ويجب ألا تكون هناك دعاوي فارغة بل ينبغي أن يكون القلب طاهرًا. إن الذين يظهرون في الخارج بمظهر حسن، ويتكلمون أحسن الكلام، ويُلقون الخطب الرائعة، بينما معاملتهم لأزواجهم وأولادهم في بيوتهم سيئة، وزوجاتهم منهم في ضيق وملل، أو إذا كان سلوك النساء أو الرجال لا يتفق مع تعاليم الإسلام فهؤلاء ليسوا بمؤمنين عند الله تعالى. وإذا لم يكونوا مؤمنين، فمن البديهي أن التقوى لا يمكن أن تنبت في قلوبهم. فلن تتحسن حالة الإيمان ما لم تكن ثمة التقوى. يقول حضرته) فإن مثل هذه الحالة تثير غضب الله تعالى.

ولتعلمْ جماعتي أنهم جاءوني لأُنمّيهم كالبذر، فيكونوا شجرةً مثمرة، لذا فليتأملْ كلُّ واحد منكم في نفسه ليعلم كيف حالة باطنه وقلبه؟ فإذا كان أبناء جماعتي يقولون خلاف ما يُخفون في قلوبهم- لا سمح الله- فلن تكون عاقبتهم محمودة، لأن الله تعالى حين يرى جماعةً تدّعي ادعاءات واسعة وقلوبها فارغةٌ، فلا يعبأ بها، لأن الله غنيّ. كان النبي ﷺ قد تلقى نبوءة النصر ببدر، وكان النصر مأمولاً ومؤكدا، ومع ذلك دعا

الله تعالى متضرّعًا باكيا، فقال له أبو بكر الصديق ﷺ: إذا كان وعدُ الفتح مؤكدا فما الحاجة لهذا البكاء والابتهال؟ فقال النبي ﷺ: إن الله غني، وقد يكون الفتحُ مشروطا بشروط خفية".

فلا شك أن الله أعطى وعدًا للنصر ولكن قد تكون هناك شروط خفية مرتبطة به بحيث لا يحقق الله وعده إلا بتحققها.

يقول حضرته:

"علينا أن نفحص دائما مدى تقدّمنا في الطهارة والتقوى، والمعيار لاختبار ذلك هو القرآن الكريم. لقد بيَّن الله تعالى أن من علامات المتقين أن الله تعالى ينجيهم من مكاره الدنيا ويتكفل أمورهم، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ أي أن الذي يتقي الله يجعل الله له مخرجًا من المصائب والأزمات، ويهيئ له أسباب الرزق من حيث لا يحتسب. أي أن من علامات المتقي أن الله تعالى لا يجعله يضطرّ لحاجات لا طائل منها. يزعم صانع أو تاجر مثلاً أن تجارته لن تزدهر دون كذب وزور ودعاية كاذبة، فلا يتورع عن الكذب ويتظاهر أنه مضطر لذلك. (يقول حضرته بأن المتقي لا يعمل هكذا، بل هو يتوكل على الله توكلا كاملا لأن الله تعالى قال له بأنه سيرزقه من حيث لا يحتسب، وإن الله تعالى بنفسه يكون محافظًا للمتقي. يقول حضرته:)

لا تظنوا أن الله تعالى ضعيف، كلا بل هو شديدُ القُوى المتينُ. إذا توكلتم عليه في أموركم، فإنه سينصركم ويعينكم يقينًا. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، كان أول المخاطَبين بهذه الآيات أهل صلاح ودين وكانوا صحابة النبي ﷺ، وكانت جلُّ همومهم عن الدين، وقد فوّضوا أمر دنياهم إلى الله تعالى، ولذلك طمأنهم الله بأني معكم".

باختصار، إن من بركات التقوى أن الله تعالى ينجي الإنسان المتقي من الصعاب التي تعيقه عن خدمة الدين.

فهذه هي النصائح التي أسداها حضرته إلى جماعته. يقول حضرته في موضع آخر:

"يجب أن يسمع الجميع بإصغاء، فاسمعوا بانتباه خاص لأن الأمر يتعلق بالإيمان، والغفلةُ والكسل واللامبالاة فيه تُسفر عن نتائج وخيمة. والذين يغفلون في أمر الإيمان ولا يصغون إذا قيل لهم شيءٌ لا يفيدهم بيان المتكلم مهما كان مفيدا مؤثرا. فهؤلاء الذين يقال بحقهم أن لهم آذانا ولا يسمعون ولهم قلوب ولا يفقهون. فاسمعوا جيدا وبانتباه خاص لما يقال لأن الذي لا يسمع بانتباه خاص لن يستفيد وإن بقي إلى فترة طويلة في صحبة شخص قادر على الإفادة".

فلا ينفعنا الحضور في الجلسة إلا إذا جئنا إليها بهدف نيل رضا الله تعالى، ولتجديد عهد البيعة، ولنعاهد أنفسنا على أن نخرج من هنا وقد صرنا أهلاً للعمل بالخير والتقوى في مستقبل أيامنا.

قال حضرته:

"وإن جماعتنا بأمس حاجة إلى التقوى بوجه خاص، فإنهم قد بايعوا وانتموا إلى شخص يدّعي أنه مأمور من الله تعالى، ذلك لينجوا من الآفات كلها، سواء أكانوا مصابين بأنواع الأضغان والأحقاد وصنوف الشرك، أو كانوا متكالبين على الدنيا إلى أقصى درجة".

فإن التحلي بالتقوى أمرٌ غاية في الأهمية. وقد قال حضرته بخصوصه إنه ينبغي لكم -إن كنتم قد قطعتم على يدي هذا العهد- أن تسعوا جاهدين لتحقيق هذا الهدف. فإذا حققتموه، فحينئذٍ فقط تصيرون وجودًا نافعًا حقًا، ليس لأنفسكم فحسب، بل لأولادكم أيضًا، ولأجيالكم القادمة، وللمجتمع الذي تعيشون فيه، كما ستصبحون ممن يحققون الهدف الأصلي من حضور الجلسة، والغاية التي أُقيمت هذه الجلسة من أجلها.

فعلينا جميعًا أن نتذكر دائمًا أنه إذا أردنا نيل رضا الله تعالى وتحقيق الغاية من حضورنا إلى الجلسة السنوية، فلا بد أن نعاهد أنفسنا على الالتزام بكل هذا خلال هذه الأيام الثلاثة، وأن نسعى أيضًا إلى تطبيقها في حياتنا العملية. علينا أن نعقد العزم على أننا، إن شاء الله تعالى، سنسعى بكل جهد إلى إصلاح حياتنا بالسير في طريق الخير، والالتزام بالتقوى. وعندما نفعل ذلك، فإننا – إن شاء الله تعالى – سنكون من الذين يحققون الغاية الحقيقية من انضمامهم إلى الجماعة. وإلا فلا فائدة من أن نحضر إلى هنا، ونقضي ثلاثة أيام، ونلتقي بالأصدقاء، ثم نعود إلى بيوتنا. صحيح أن من أهداف الجلسة أيضًا لقاء الإخوة وتعزيز أواصر الأخوة والصداقة، لكن الهدف الأساسي هو أن نصبح من أهل التقوى، وأن نثبت عليها، وأن ننال رضا الله تعالى.

وينبغي أن تكون صلواتنا سببًا في نيل رضا الله تعالى، وأن ترتقي بنا إلى تلك المنزلة التي يهبها الله تعالى للمتقين. كما ينبغي أن تكون تضحياتنا المالية، وسائر تضحياتنا بقدراتنا وإمكاناتنا، بل وكل أعمالنا وأفعالنا، سببًا في تقريبنا إلى الله تعالى، وأن تجعلنا نسير في طريق التقوى على حقيقتها. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك.

وفي هذه الأيام، أكثروا أيضًا من ذكر الله تعالى، وأكثروا من الدعاء لأنفسكم، وللجماعة، وللعالم الإسلامي، بل وللعالم أجمع. نسأل الله تعالى أن يوفق الناس جميعًا إلى معرفته، وأن يوفقنا نحن أيضًا إلى أداء واجب التبليغ، وإيصال رسالته إليهم، وأن يوفقنا إلى التبليغ بروح التقوى، وأن يهيئ لنا وللعالم كله أسباب اليسر والرخاء، ويحفظ البشرية من الفتن والكوارث والمصائب. والآن، لندعُ الله تعالى.

(الدعاء)